



# العنف في وسائل الاعلام واثاره على الناشئة والشباب

الدكتور : عدنان الدوري

الرياض

1408 هـ - 1987 م

# العنف في وسائل الاعلام وآثاره على الناشئة والشباب

الدكتور عدنان الدوري\*

## المقدمة:

لايسع الباحث العلمي المنصف سوى الاعتراف ببعض الحقائق الأولية التي لا مجال لاغفالها او انكارها في هذا الموضوع.

أولى هذه الحقائق: اننا نعيش اليوم في عالم عدواني يتميز بطغيان العنف والجريمة والسلوك العدواني بشكل فاق كل ما عهده الآباء والأجداد في عهود سابقة

وثانيها: ان طغيان مثل هذا العنف صار واقعا وحقيقة ملموسة بل واحداثا عادية مألوفة يتقبلها الناس بعفوية هادئة قبولهم لبعض الظواهر الجوية المألوفة كبرودة الجو أو هطول المطر أو ارتفاع درجة الرطوبة

وثالثها: أن بعض وسائل التواصل الجماهيرية المعاصرة، والمرئية الناطقة بوجه خاص، صارت تقدم اليوم زخماً هائلاً من المواد الاعلامية المملوءة بالعنف الذي بات يفوق من حيث كميته ونوعيته كل عنف حقيقي مارسته ومازالت تمارسه المجتمعات المعاصرة.

---

(\*) كلية الآداب. قسم الاجتماع. جامعة الكويت.

أما ان بعض مجتمعاتنا المعاصرة تمارس اليوم عنفا اجراميا حقيقيا يتجاوز في خطورته حدود الوصف والتصور فتلك حقيقة أخرى تدعمها الأرقام المذهلة التي تكشفها بعض الاحصائيات الرسمية الجنائية.

ففي مدينة أمريكية واحدة كفيلا دلفيا التي لا يتجاوز سكانها المليونين من السكان. ما يرتكب في هذه المدينة وحدها من جرائم القتل يزيد على ما يرتكب من هذه الجرائم في بلد كبير كانجلترا التي يتجاوز سكانها الأربعة والخمسين مليوناً

كما أن بعض الاحصائيات الأمريكية المروعة تشير الى ان شخصا واحدا يقتل كل ستة وعشرين دقيقة في الولايات المتحدة الأمريكية وان امرأة واحدة تغتصب باستخدام العنف والقوة كل عشر دقائق. ويقدر البعض ان عدد من يملكون سلاحا ناريا قاتلا يتراوح بين التسعين والمائتي مليون.

ولعل من الملاحظ بشكل ملموس أننا بدأنا نستخدم كلمة القتل وكلمة الموت وكلمة التدمير في مجمل سياق هزلنا ومزاحنا بل وصارت مثل هذه المفردات اللغوية تحتل جزءاً كبيراً من استعاراتنا الدارجة ومخاطباتنا اليومية. ولكن السنا نجد في تاريخ كل شعب من الشعوب بعض ملامح العنف بشكل أو بآخر؟

وقد يكون بعضه عنفا مشروعا واسلوبا مألوفاً يقع تحت مظلة حضارية تحيط بها مجموعة من المبررات الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية حتى لانجد من بين الشعوب من يجد حرجا لدى الاحتفال ببعض هذا العنف المشروع في بعض المناسبات القومية او الاجتماعية من وقت الى آخر

واليوم وبعد ان أصبح للتلفزيون وهو أكبر وسائل الاعلام شيوعا بين الناس تأثيره الواسع على مجال عريض من القيم والمعايير الاجتماعية وغالبية أنماط السلوك والعادات الاجتماعية فقد استطاعت هذه الوسيلة الاعلامية بمفردها ان تشكل لدى غالبية المجتمعات الحضرية والصناعية ثقافة تلفزيونية خاصة وتنشئ- جيلا تلفزيونيا خاصا.

ولعل من المؤسف حقا ان غالبية وسائل الاعلام، والمرئية منها بشكل جاد، بدأت تعيش في ديمومتها على تسويق ظاهرة العنف والعدوان فتصف للناس تفاصيله الدموية المرعبة كسلعة تجارية مطلوبة مرموقة تقدم لهم في أطباق شهية تحت مبررات التسلية أو الترويح أو الاعلان أو الأخبار أو غير ذلك من المبررات الأخرى.

يقول تقرير لهيئة الأمم المتحدة في مؤتمرها الخامس لمكافحة الجريمة ومعاملة المذنبين أن العنف قد يأخذ أحيانا شكل اللغة للتعبير عن بعض القيم والأنماط السلوكية لبعض الجماعات ولذلك يصبح مثل هذا السلوك العنيف سلوكا مقبولا مرغوبا به لدى الأفراد اذ يصبح صفة لازمة يستطيع الفرد ان يجد بها مكانةً ومنزلةً وتقديراً بين جماعته أو بين أقرانه وفي اطار ثقافة سفلية فرعية خاصة.

أما دور التلفزيون كوسيلة اعلامية حضرية جديدة ومدى اسهام هذه الوسيلة في شيوع العنف وتيسير قبوله كوسيلة استجابية لحل بعض مواقف الصراع بين الأفراد او بين الجماعات او تشجيع ممارسة العنف بصورة فعلية فتلك قضية جدلية لم يقطع فيها برأي علمي حاسم حتى وقتنا هذا

واذا كان من الصعوبة بمكان ان يقطع الباحث العلمي اليوم بالقول بأن انسان هذا العصر صار اكثر عنفا واشد عدوانية ممن سبقوه من الأجداد

الأقدمين فان بوسع المجتمعات المعاصرة وبوسع الجيل المعاصر ان يؤكد مدى طغيان العنف في الحياة المعاصرة بحيث ان الأسرة وبقية المؤسسات الاجتماعية الأخرى العاملة في ميدان التنشئة الاجتماعية باتت اليوم تواجه تحدّيات ثقافية متزايدة في محاولة تعليم الأطفال كيفية حل صراعاتهم المختلفة بطرق سلمية بعيدة عن العنف.

أولاً: مدخل نظري عام لمفهوم العنف:

## ١ - طبيعة العنف وأنواعه:

قد ينصرف مفهوم العنف تقليدياً الى كل قوة بدنية تحدث أضراراً في الجسم، الا ان العلماء لا يقتنعون بهذا المعنى الحرفي الضيق للعنف حيث يمكن ان يحدث العنف اضراراً نفسية او عقلية او اجتماعية كالأضرار بسمعة الشخص او النيل من منزلته الاجتماعية او احداث الخسارة الاقتصادية بمؤسسة تجارية صغيرة من قبل احدى المؤسسات الكبرى التي تسعى الى افلاسها او طردها من السوق.

ان هذا جميعه وغيره من اشكال الاضرار الأخرى يشكل لاشك عنفا مهما اختلفت مصادره او تعددت اهدافه ومبرراته

وقد يصنف بعض العلماء العنف لأغراض البحث العلمي من ناحيتين:

أحديهما من حيث أسلوب العنف.

والأخرى من حيث مدى شرعيته.

فالعنف من حيث أسلوبه يمكن أن يتضمن الأنواع التالية:

١ - العنف البدني: وهو اما ان يكون فعليا كالقتل والضرب او يكون

بالتهديد باستخدام العنف وعادة ما يسبق العنف الفعلي تهديد باستخدامه ولكن لا يشترط تلازمهما في كل الظروف والأحوال.

٢ - العنف التسلطي: وهو الذي يهدف الى احداث بعض الأضرار الاقتصادية او الاجتماعية او العقلية، وغالبا ما يستخدم مثل هذا العنف في اطار الصراعات الفردية او الجماعية وبين المنظمات والدول والشعوب ولأهداف السيطرة السياسية او الاقتصادية

٣ - العنف الاختباري: وهو عنف شفوي او بدني هدفه كشف قدرات الشخص القادم الجديد الى مجتمع او جماعة جديدة وذلك قبل الشروع في منافسته او التورط في صراع معه. وغالبا ما يشيع هذا العنف الاختباري بين جماعات لعب الأطفال او العصب الجانحة من الأحداث الذكور او الاناث.

أما اختلاف العنف وفقاً لدرجة شرعيته فقد يتدرج العنف بين الشرعية التامة واللاشرعية المطلقة وذلك على النحو التالي:

١ - العنف اللامشروع: وهو العنف الشائع في معناه بين غالبية الناس حين يلتصق بصفة اللاشرعية حيث يخالف القانون او الأخلاق، وهو سلوك يتجاوز حدود تسامح المجتمع، كالقتل والايذاء وبقية انماط العنف الاجرامي الأخرى.

٢ - العنف المشروع: وهو العنف الذي يستند على ارضية مشروعة من القوانين او الاعراف او الانظمة او القيم او التقاليد ومثل ذلك عنف بعض العاب القوى والمباريات الرياضية او ذلك العنف الذي تقتضيه طبيعة الواجب الرسمي او مستلزمات المهنة او متطلبات العمل او استعمال الحق.

والواقع ان معيار التمييز بين مشروعية العنف ولا مشروعيته يخضع في الغالب الى قاعدة ثقافية عريضة الأمر الذي يفتح الباب لجدول فقهي او علمي تتباين فيه وجهات النظر وتختلف التبريرات والتفسيرات.

ان مشروعية العنف او لامشروعيته تتوقف - الى حد كبير - على مصدر الشرعية ذاتها وعلى مقدار العنف المطلوب لتحقيق هذه الشرعية فقد يتعدى الزوج او الأب حدوده الشرعية في معاملة زوجته او في حق تأديب اطفاله ولذلك يصبح عمل الزوج او الأب هنا اساءة لاستخدام حق مشروع الأمر الذي ينقله الى مرتبة العنف غير المشروع ، وحين يتجاوز رجل الشرطة حدود واجبه فيستخدم من اجراءات القوة والعنف ما يزيد عن الحاجة المقررة عرفا او قانونا وهنا يصبح عمله - حتى وان كان من ضمن الواجب الرسمي - عملا غير مشروع أو عنفاً لا مشروعاً.

ومن هنا . فقد نجد من العلماء من يرى ان مصطلح العنف مصطلح غامض يتصل معناه ببعض العمليات السياسية التي انشأته . ففي هذا يقوم العنف كعمل بطولي من أحد الجانبين المتحاربين بينما يراه الجانب الآخر عملاً عدوانياً.

## ٢ - تفسير العنف :

هل يرجع العنف في طبيعته الى عوامل غريزية طبيعية ام هو ظاهرة مكتسبة يتعلمها الانسان من خلال تنشئته الاجتماعية وفي اطار عيشه الجماعي؟ وهل ينشأ العنف عن عوامل نفسية او عقلية كالمرض العقلي الذهاني او المرض النفسي العصابي او الحرمان او الاحباط الشديدين؟ وهل يرجع العنف في منشئه الى تنشئة اجتماعية او تربوية خاطئة خلال مراحل الطفولة الأولى؟ وهل يمكن ان يتعلم الانسان العنف او السلوك العنيف

كأي سلوك آخر نتيجة تعرضه الطويل والمتكرر لصحبة اشخاص يمارسونه بانتظام؟ وهل يتعلم الانسان العنف بتقليد آخرين حيث يجعل منهم امثالا يحتذى بهم نتيجة اعجابه الشديد بهم؟ وهل يرتبط العنف بثقافة سلفية فرعية او بطبقة اجتماعية او مجتمع محلي معين؟ وهل يرتبط العنف ببعض ظواهر اجتماعية او اقتصادية محددة كالفقر الشديد او ادمان الكحول او غير ذلك من ظواهر اخرى.

لاشك ان جميع هذه التساؤلات وغيرها الكثير تشكل المدخل العلمي لتفسير ظاهرة العنف ، واذا كان لا يعنينا الجدل العلمي الطويل حول جميع هذه الفرضيات والنظريات المطروحة في سوق السببية فانه يجدر بنا ان نوجز ابرز الاتجاهات وفحواها دون ان يأخذنا الاسترسال في وصفها الى متاهات جدلية طويلة نحن في غنى عنها في هذا المجال المحدد.

ويمكن ايجاز ابرز هذه التفسيرات على النحو التالي:

## ١ - التفسير الفيزيولوجي:

يؤكد أنصار نظريات الغرائز أن غريزة العدوان موروثة في الجنسين البشري والحيواني على حد سواء. فالانسان مخلوق عاطفي تحركه الغريزة ويجرفه الانفعال، ولعل هذا خلاف لما يراه فلاسفة الاخلاق القدامى الذين وصفوا الانسان بانه حيوان عاقل، ان بعض انصار هذا الاتجاه الطبيعي يفسرون العنف بوجود كروموسوم اضافي يضيف على صاحبه ذكورة زائدة تقود في الغالب الى الضعف او السلوك العنيف. وهناك اخرون من انصار هذه المدرسة يردون العنف الى تلف الدماغ ذاته

ورغم حجة هذا الفريق فانهم مازالوا عاجزين عن تفسير سبب تباين السلوك العنيف بين الأفراد او بين الجماعات رغم اشتراكهم في ارضية غريزية مشتركة واحدة.



كما أن أنصار فكرة الكروموسوم الاضافي أخفقوا في إيجاد الرابطة السببية بين وجود الكروموسوم الزائد وبين ظهور السلوك العنيف لانهم في الواقع لا يستطيعون تحديد عدد الأشخاص الذين يملكون مثل هذا العامل الوراثي الزائد في العالم من جهة ومن الجهة الأخرى لا يستطيعون ان يفسروا سبب ظهور السلوك العنيف بين اشخاص لا يملكون مثل هذا الموروث الزائد.

## ٢ - التفسير السيكولوجي:

ويرد أنصار هذا الاتجاه العنف الى اسباب نفسية صرفة كفقدان السيطرة على النفس نتيجة بعض الضغوط القاهرة او نتيجة عوامل أخرى محددة كالكحول أو المرض العقلي أو الاحباط الشديد، وهم يعتقدون ان العنف يمكن ان يكتسبه الفرد بالتعلم عن طريق التقليد أو عن طريق التعلم بالمكافأة.

ولاشك أن هناك بعض الدراسات العلمية التي طلعت ببعض النتائج الايجابية لاثبات صحة مثل هذه الفرضيات ولكنها لا تصلح أساساً نظرياً كاملاً لتفسير العنف تفسيراً علمياً مقبولاً في كل المواقف والأحوال. صحيح ان الكحول يمكن أن يضعف بعض الكوابح الداخلية الذاتية التي تحول بين الانسان وبين استخدام العنف.

كما أن الاحباط الشديد قد يقود صاحبه الى التماس طريق العنف ولكن مثل هذا الاحباط لا يقود بالضرورة الى العنف في كل الظروف والأحوال، ومن الناحية الأخرى فقد يحدث الكثير من العنف والسلوك العدواني دونما ارتباطه بحالة احباط في حالات كثيرة.

إن الإحباط وحده كعامل جوهري لا يمكن ان يؤدي بمفرده الى السلوك العنيف الا اذا ارتبط بعوامل أو مواقف اخرى مساعدة أو مكاملة. اما القول بامكانية تعلم العنف عن طريق المكافأة فهو قول لا يفتقر كثيراً الى الحجة المدعومة بالبحث العلمي، فهناك من الدراسات التي اثبتت ان العنف سلوك يمكن ان يتعلمه الطفل من خلال خبراته الأولى في الحياة، ذلك ان العنف سلوك تمكن زيادته أو نقصانه بضبط اجتماعي مناسب كالمكافأة والتشجيع أو المنع والتأنيب، وقد يتعلم الطفل العنف بتقليده للآخرين من حوله حين يتخذه بعضهم قدوة أو منوالاً ينسج على نمطه، ولعل مثل هذا الرأي يدخل موضوع العنف التلفزيوني في الصورة حيث يتصل فيما يمكن ان تقدمه بعض وسائل الاعلام من عنف خيالي والذي سيجيء الكلام عنه في مجال لاحق.

### ٣ - التفسير النفسي الاجتماعي:

ويقوم هذا التفسير على الاعتقاد بأن جذور العنف يمكن ان تزرع في نفسية الاطفال وشخصياتهم من خلال عملية تنشئة اجتماعية خاطئة خلال مراحل الطفولة الأولى، وتفيد احدى الدراسات الميدانية المقارنة التي تناولت ستة مجتمعات مختلفة في شتى بقاع العالم تضمنت أحد المجتمعات في شمال الهند ومجتمعاً محلياً أمريكياً وقرية مكسيكية واخرى افريقية في كينيا واخرى في جزر الفلبين واخرى يابانية وقد أظهرت نتيجة هذه الدراسات المقارنة مدى اسهام طرق تنشئة الأطفال ودور كل من الأم والأب في تطور السلوك العنيف الذي يصدر عن اطفالهم.

ولعل ما يثير الدهشة ان هذه الدراسة لم تجد أية علاقة بين عقاب الطفل عن سلوكه العنيف وبين ظهور العنف في حياته المقبلة بعد البلوغ،

ولعل هذا يفيد بوضوح بأن العقاب لا يشكل عاملاً جوهرياً رادعاً في تشكيل طبيعة السلوك العنيف اذ يمكن ان يتأثر الطفل كثيراً بمجموعة عوامل ومواقف اخرى من خلال اختلاطه بأقران اللعب او بعض الجماعات الأولية الأخرى.

وباختصار فان عملية التنشئة الاجتماعية بكل ابعادها وعناصرها ومحتواها تشكل البيئة الانسانية الأولية لتعلم الطفل لكافة انماط السلوك المقبولة وغير المقبولة، فقد يتعلم الطفل كيف يكون شخصاً انسانياً مسالماً اجتماعي النزعة رقيق المسلك والتصرف وقد يتعلم كيف يكون فظاً يتصرف بكل رعونة وخشونة وكيف يحل مشكلاته وصراعاته باستخدام العنف الشديد او السلوك العنيف.

#### ٤ - التفسير الاجتماعي:

ويؤكد بعض علماء الاجتماع ان العنف قد يرجع الى انتماء الشخص لثقافة سفلية فرعية تشجع العنف وتقبله وتعتمد أسلوبه وأنماطه كطريق مألوفة لمواجهة التحديات وحل المشكلات والتعامل مع الآخرين، وهناك من علماء الاجتماع من يعزي العنف الى الفقر او البطالة او فشل الشخص في تحقيق اسباب الانتماء الاجتماعي لأسرته أو لمجتمعه المحلي او لمجتمعه الكبير او اخفاقه في تكوين علاقات اجتماعية صحية مع الآخرين وفي هذه الحالة يصبح الشخص منبوذاً غير مرغوب فيه.

ويجد بعض العلماء ان اطلاق حرية حيازة السلاح القاتل قد يقود الى العنف الاجرامي في بعض المجتمعات.

ولاشك ان مثل هذه الفرضيات الاجتماعية وغيرها ذات اهمية علمية لأنها تمثل محاولات علمية منهجية لتقرير اهمية الواقع الاجتماعي الذي يسهم في خلق ظاهرة العنف بشكل او بآخر

ولكن جميع هذه الفرضيات لا تحمل من الحجة العلمية ما يؤهلها لصياغة نظرية علمية متكاملة في ميدان سببية العنف او تفسير طبيعته ومنشئه، فالقول بأن للعنف ثقافته الفرعية السفلية لا يصلح لتفسير حدوث العنف في معدلات عالية في مجتمعات سوية غير سفلية، كما أن العنف لا يعد اليوم ظاهرة طبقية او صفة لاصقة بالطبقات الفقيرة المحرومة التي تعاني احباطا كبيرا نتيجة اخفاقها في تحقيق اهدافها المشروعة باساليب مشروعة.

## ثانياً: ظاهرة العنف ووسائل الاعلام:

### ١ - التلفزيون والعنف التلفزيوني:

ليست الوسيلة الاعلامية في مفهومها العام سوى وسيلة توصل بعض المعلومات الى اكبر عدد ممكن من الناس، والوسائل الاعلامية المعاصرة بعضها سمعي والآخر مرئي، وبعضها سمعي مرئي، وهو يشتمل على المطبوعات من جرائد وكتب ومجلات وملصقات وعلى الراديو وما يلحق به من تسجيلات صوتية وعلى السينما وعلى التلفزيون وما يلحق به من افلام الفيديو.

وبالنظر الى ان معالجة جميع هذه الوسائل بشي- من الدقة والتفصيل لا يتسع له المجال المحدد لهذا البحث فقد رأينا ان نقتصر هنا على ايضاح اكثر هذه الوسائل شيوعا وابرزها تأثيرا على الأطفال والبالغين وهو التلفزيون وذلك لمقدار ونوعية ما يعرضه من العنف الخيالي والحقيقي وهو الذي يشكل موضوع هذه الدراسة.

ولاشك ان الناس في كل مكان وعلى اختلاف طبقاتهم بدءوا ينظرون الى التلفزيون نظرة جادة كظاهرة جديدة او كمشكلة حضارية جديدة ذات آثار سلبية معينة ، وقد لا يكون الأمر كذلك.

لقد صار حال الناس اقرب الى حالة الادمان التلفزيوني حيث اصبحوا لا يطبقون الابتعاد عن هذا الجهاز او مجرد التفكير بالاستغناء عنه ولو لفترة قصيرة، ان مجرد عطل فني مؤقت يصيب هذا الجهاز او اي اضطراب في برامج المعتادة او اي خلل طارئ يعوق مشاهدته لاشك يثير اليوم عاصفة من السخط والغضب بل وزوبعة من عدم الرضا والاحتجاج بين افراد الأسرة في غالبية البيوت، لقد صار هذا الجهاز الطارئ على الحياة جزءاً من واقع الحياة حتى افقد الناس القدرة الصائبة على كشف بعض سلبياته رغم ما يتعرضون له بسببه منذ مدة ليست قصيرة ويظهر ان اخفاق الناس في الاحساس بوجود ضرر ما يحجب رؤيتهم لهذا الضرر ويفقدهم القدرة على استبصار بعض ما يتصل بالمشكلة القائمة بسببه.

ويكاد ان يجتمع الرأي على اننا نواجه اليوم حملة اعلامية شرسة تتضمن ما تعرضه بعض وسائل الاتصال الجماهيرية، والتلفزيون بوجه خاص، من مواد تحتوي على وجبات دسمة من الرعب والعنف والجريمة ومشاهد السادية والعدوان بشكل هائل وفي زيادة مستمرة لا نجد في الأفق ما يبشر بخط تنازلي يشير الى الاعتدال او النقصان.

والواقع ان العنف قديم في حياة البشر قدم الحياة ذاتها ولكن الجديد في مدنيتنا المعاصرة ان وسائل الاعلام الجماهيرية والتلفزيون بوجه خاص جعلت الناس يشهدون في العنف الخيالي ما يفوق العنف الحقيقي او يتعدى خبراتهم الواقعية في ممارستهم له، فالعنف التلفزيوني قد يكون عنفا حقيقيا حين يعكس عنفا يقع فعلا في عالم الواقع، اما العنف الخيالي فهو الذي يمثل العنف الحقيقي الا انه لا يقف بالضرورة عند حدوده الواقعية من حيث الكمية والنوعية المطلوبتين لتحقيقه، فهل هناك ما يبرر هذا العرض الزائد عن الحاجة من العنف الذي ينشره التلفزيون على الناس في الوقت الحاضر؟

يقول عالم الاجتماع الانجليزي هالاران Hallaran ان كل مجتمع ينال من العنف بقدر مايستحقه، اذ هو ينتج مقدار العنف الذي يحتاجه ويطلبه، فهل نحن اليوم نعيش في مجتمعات تنتج هذا القدر الهائل من العنف بقدر ما تستحقه وتطلبه، ولكن كيف نعيش مقدار العنف التلفزيوني هذا؟ هل نقيسه بعدد جرائم القتل أو الضرب أو الاغتصاب، ام نقيسه بنوعية القتل أو الضرب أو الاغتصاب أو نوعية السلاح الذي استخدم في تنفيذه؟

لاشك ان وراء كل عنف تلفزيوني قصداً وهدفاً يسعى المنتج الى تحقيقهما من خلال المشهد أو الخاتمة، وحين يخفي هذا الهدف أو القصد وراء آليات السلوك العنيف وبيان دقائقه وتفصيله المادية فهل نستطيع ان نتبين مثل هذا القصد والهدف حين تستغرقنا الوسيلة فتصبح هي ذاتها الهدف المطلوب؟

ان مشاهد العنف التلفزيوني تمثل في غالبيتها الوسيلة دون المغزي وبالتالي فان التلفزيون يعرض العنف كعنف دون الاهتمام بما يحيط بهذا العنف من قيم اجتماعية أو اتجاهات نفسية أو مبررات أو اهداف تربوية اخرى، ان المعرض الدرامي المفصل للعنف المرعب بأشكاله الدامية يحجب وراءه الهدف الايجابي لوجوده لأنه يتمادى في تصوير العنف كهدف أو غاية رغم الادعاء بمشروعية بعض الأهداف المسئولة عن مثل هذا العنف أو المبررات الشرعية لحدوثه.

ويقول عالم اجتماع اخر هو برايس ويلسون Wilson ان التلفزيون يبائع اليوم كثيراً في اهتمامه بالعنف ويهيء اذهان الناس لقبوله وذلك من خلال ابراز بعض الاتجاهات الاجتماعية وباسلوب خيالي يزيد شهية المشاهد لقبول مثل هذا العنف وبوسيلة مسلية للتعبير عنه وخلق الجو الاجتماعي لتسامحهم ازاء بعض اساليبه وانماطه.

وهذا عالم نفس آخر هو الدكتور ورتام Wartam يقول لنا: إن التلفزيون جهاز يقدم للناس وجبات دسمة من العنف والسادية بكميات هائلة المقادير.

ويظهر أن أفلام الرسوم المتحركة والبرامج الخاصة بالأطفال التي يعرضها التلفزيون في أكثر المجتمعات المعاصرة بدأت هي الأخرى تفيض بمشاهد العنف والرعب والعدوان، ولعل هذا بمفرده يشكل لنا المدخل المنهجي والمبرر المشروع لمناقشة الآثار التي يتركها هذا الجهاز من خلال عرض مشاهد العنف والرعب والجريمة لفترات زمنية طويلة متكررة ومدى تأثير كل ذلك على الأطفال وكشف موقع هذا التأثير بين عمليات التنشئة الأخرى.

وعن هذا يقول الدكتور ورتام: ان تعريض عقول الأطفال الى مشاهد العنف والقسوة والسادية والاجرام بصورة مستمرة لاشك يترك بصماته العميقة لديهم كما هو الحال في بعض البرامج التلفزيونية الجيدة التي لاشك تترك اثارا حسنة في ذاكرتهم. فالتلفزيون في حياة الأطفال اما ان يترك اثارا حسنة أو اثارا سيئة ولا يمكن ان يكون حياديا.

## ٢ - آثار العنف التلفزيوني على الأطفال والشباب:

ينال موضوع تأثير التلفزيون على الأطفال والناشئة اهتماما كبيرا على مستوى العلماء والمتخصصين الأمر الذي اكسب مثل هذا الاهتمام شرعية خاصة لوضع هذا الجهاز في قفص اتهام لمحاكمته وكشف عيوبه ومساوئه على مختلف المستويات.

وقد أسهمت بعض الدراسات العلمية، والتجريبية بوجه خاص، في بيان علاقة برامج العنف بسلوك الأطفال الا ان مثل هذه الدراسات التجريبية ، الى جانب الدراسات المقارنة الأخرى، لم تستطع اثبات وجود ثمة علاقة سببية مباشرة بين مشاهدة الطفل لبعض برامج العنف التلفزيوني وبين نشوء أو ظهور بعض انماط السلوك العدواني لديه كنتيجة مباشرة لمثل هذه المشاهد الضارة، ولعل ذلك يرجع الى ان غالبية الدراسات التجريبية استخدمت عنفا اصطناعيا غير حقيقي كبديل يمارسه الطفل على دمية بشكل انسان وبالتالي فان العنف اللاحق على مشاهدة التلفزيونية على فرض حدوثه لا ينصب على انسان حقيقي

ورغم ما تقدم فمازال هناك اعتقاد يسود عددا غير قليل من علماء النفس وأطباء الأمراض العقلية يفيد بأن تكرار مشاهدة الطفل للمعارك العنيفة التي تستخدم فيها الأيدي أو الاسلحة النارية أو السكاكين لا يمكن أن تكون عديمة الأثر . بل على العكس من ذلك تنمي في الطفل بعض المشاعر العدوانية وقد تعلمه ممارسة بعض انماط السلوك العدواني فعليا ، وتفيد حصيلة بعض الاختبارات النفسية التي تجري على الأطفال لاختبار شخصياتهم أن الطفل الذي يقضي وقتاً طويلاً في مشاهدة برامج العنف التلفزيوني يكشف بالاختبار ميولا عدوانية بنسبة اكبر من سواء ممن لا يشاهدون مثل هذه المشاهد، ومع ذلك فان جميع هذه الاختبارات تقف عند حدود كشف وجود بعض العلاقات ولكنها لا تستطيع ان تثبت ان وجود مثل هذه الميول العدوانية كانت نتيجة مباشرة لمشاهدة برامج العنف بصورة علمية سليمة.

ولعل هناك من يجد لنا تبريرا لظهور العنف التلفزيوني بوصفه صمام امان يجري من خلاله تفريغ حمولة العنف الداخلي المكبوت لدى الطفل وذلك من خلال عملية المشاهدة التلفزيونية ذاتها.



ويمكننا القول هنا بان كثرة الدراسات العلمية التجريبية والمقارنة التي قام بها عدد كبير من الأطباء واطباء الأمراض العقلية وعلماء النفس وعلماء الاجتماع وكذلك كثرة ما اظهروا للتلفزيون من عيوب ومساوىء وآثار سلبية ضارة كل هذا افسد على هؤلاء العلماء وغيرهم فرصة التآني في الاجتماع الهادىء على رأي علمي محدد وبلورة اتجاه فكري واضح تجاه هذا الجهاز السحري الغريب الذي افسد على الناس سوية معايير حياتهم الهادئة وعصف باستقرار اتجاهاتهم وعاداتهم النمطية الثابتة نسبيا.

ولعلنا في نظرة هادئة الى موقف العلم والعلماء ان نصل بالذهن الى بعض الاجابات المقبولة للكثير من التساؤلات التي تتصل بدور التلفزيون السحري في تلقين العنف والجريمة لاطفالنا وشبابنا في الوقت الحاضر هذا بعض ما يدور في اذهان الكثيرين من التساؤلات ومناقشة مدى شرعيتها العلمية على النحو التالي:

١ - هل يعمل التلفزيون في فراغ تام كعامل جوهري مستقل القوة والتأثير في احداث بعض اثاره المباشرة على الأطفال ام انه مازال يشكل جزءا من صورة حضارية اكبر قد يتعرض لها الطفل من خلال العيش في بيئة انسانية واجتماعية وبشرية مملوءة بالعوامل والمواقف والمثيرات والمتغيرات؟

ان حياة الأفراد والجماعات لم تعد تتأثر اليوم بمتغيرات قليلة محددة بل ان هناك مجموعة كبيرة من المتغيرات الثقافية التي صاحبت ومازالت تصاحب عملية التغير الاجتماعي بوجه عام.

ومن هنا . . يصبح مطلب تشخيص آثار التلفزيون كعامل جوهري وبصورة مستقلة من المطالب التي يتعذر تحقيقها ان لم تكن بالمستحيلة على معطيات البحث العلمي المعاصر

على ان مثل هذه المعوقات المنهجية ينبغي الا تقعدنا عن متابعة الجهد العلمي لتفريد بعض المتغيرات الخاصة بالتلفزيون وعزلها عن الواقع الاجتماعي العام للطفل في المستقبل رغم ايماننا بصعوبة مثل هذا المطلب وصعوبة امكانية تحقيقه.

٢ - هل يؤثر العنف التلفزيوني على الأطفال بشكل واحد؟ لقد اظهرت بعض الدراسات الميدانية ان الأطفال بوجه عام لا يتأثرون بالتلفزيون وبمشاهد العنف التلفزيوني بشكل واحد، فالواقع ان هناك من الأطفال من يستطيع التمييز بين الحقيقة الواقعية وبين الخيال العلمي او الخيال الترويجي، كما أن قلة قليلة من الأطفال هم الذين يتأثرون بالتلفزيون بوجه عام وان الذكور في الغالب اكثر تأثراً من الاناث، كما ان بعض الدراسات العلمية الميدانية اظهرت ان الأطفال بوجه عام يقلدون السلوك التلفزيوني بسهولة، فالعنف المصور في التلفزيون وفي وسائل الاعلام المختلفة لا يدفع الطفل العادي الى تقليده مباشرة او حتى ممارسة بعض صوره أو انماطه.

ويمكن القول بأن ردود فعل الفرد الذي يشاهد العنف المصور تقوم على ارضية ثقافية عريضة معقدة قوامها مجموعة مركبة من العوامل الاسرية والشخصية والبيئية المختلفة، والتأثير الايجابي للبيت وتأثير جماعة اللعب قد يشكلان أحياناً درعاً واقياً ضد سلبيات مشاهدة العنف التلفزيوني.

٣ - هل هناك علاقة سببية بين برامج العنف والجريمة وبين زيادة معدلات الجريمة وجنوح الأحداث أو انحرافهم؟

غالبا ما يستهوي الأطفال مشاهدة المقاتلة بالأيدي أو بالسلاح أو باستخدام بعض اغماط العنف ولكن الطفل لا يتعلم السلوك الجانح من خلال المشاهدة التلفزيونية، ان السلوك الجانح ظاهرة معقدة التركيب حيث

تخضع الى مجموعة مترابطة من العوامل والمتغيرات والظروف والعوامل الشخصية والبيئية، بعضها جوهري والبعض الآخر عوامل ثانوية مساعدة ولكنها جميعها تعمل في مجال كلي كبير ، ولا ينفرد في التأثير عامل واحد أو متغير واحد.

قد يكون بضع حالات استثنائية يقلد بها بعض الأطفال انماطا اجرامية سبق لهم مشاهدتها على شاشة التلفزيون ولكن مشاهد العنف والجريمة يشاهدها عدد هائل من الأطفال الا ان حالات قليلة جدا أو فريدة في نوعها هي التي تثبت استجابتها للمشهد التلفزيوني اي ان بعض هؤلاء الأطفال قاموا بتقليد مشاهد تلفزيونية معينة تأثروا بنماذجها.

ان الدراسات العلمية المتيسرة في هذا الشأن تؤكد ان الطفل لا يقلد النماذج التلفزيونية في حياته العادية تقليدا اعمى فيرتكب جريمة سرقة خزانة حديدية كالتي شاهدها في برنامج تلفزيوني معين، ان التقليد الفعلي لجريمة السرقة لا يمكن ان يتم الا اذا تهيأت للطفل المواقف المناسبة والظروف المشابهة لذات المواقف والظروف التلفزيونية التي شاهدها الطفل كما أن هذا لا يكفي لحصول التقليد بل ان فعل السرقة لا يتم عن طريق التقليد الا اذا سمحت اخلاقيات وقيم الطفل الذاتية لارتكاب فعل السرقة وهذا جميعه يشكل مجموعة كبيرة من المتغيرات لا يمكن ان تكون مطابقة بصورة تامة.

إن ظروف تنشئة الطفل الاجتماعية ومدى صلابه قيمه ورسوخ اتجاهاته نحو الخير والحلال والعدل تشكل العامل الأساسي الرادع لحصانة معنوية تقف بوجه الاغراء المحتمل مهما قويت ظروفه وتعددت فرصه.

وبإيجاز فان الأطفال الذين يتميزون بعدوانية سابقة هم الذين يتأثرون اكثر من غيرهم بمشاهد العنف التلفزيوني ، ذلك انه في داخل كل منا نزعة

عدوانية غريزية نحو التدمير أو الايذاء أو الموت ولكن مثل هذه النزعات الغريزية تختفي وراء مجموعة من الحواجز الاجتماعية والكوابح الأخلاقية والثقافية والدينية، ولذلك فإن قراءة قصة قتل درامية أو مشاهدة عنف مروع فيه تنفيس خيالي يفرغ فيه القارئ أو المشاهد للبرنامج التلفزيوني بعض مشاعره العدوانية الدفينة المكبوتة ولكن القراءة أو المشاهدة لا تكفي لترجمة القصة أو المشهد الى فعل حقيقي يمارسه القارئ أو المشاهد لأن مشاهدة السلوك العنيف لا تستتبع بصورة آلية تقليده بالممارسة الفعلية له

إن هيكل التنظيم الاجتماعي الذي يشتمل على مجموعة المعتقدات الدينية الراسخة في الضمير الانساني والاعراف والأنظمة والقوانين والقيم الاجتماعية والأخلاقية المتصلة بمفاهيم الخير والعدل والعفة والشرف والأمانة جميعها تشكل لدى الانسان السوي درعا واقيا صلبا تنكسر على سطحه كافة النزعات العدوانية المحرمة والمكبوتة في اعماقنا اللاشعورية، وهي لاشك مشاعر ممنوعة محرمة تتربص الانطلاق لدى اول فرصة سانحة.

٤ - والآن هل يمكننا التأكيد هنا بأن العنف التلفزيوني لا يؤثر على الأطفال أو على الناشئة من الشباب بشكل أو بآخر؟

لقد ذكرنا فيما سبق ان التلفزيون لا يمكن ان يظل عنصرا حياديا في تأثيره على بعض الأفراد أكثر من غيرهم فهو لذلك يؤثر على المشاهدين ومن هنا فهو يؤثر على الأطفال الصغار تأثيرا سلبيا ولكن تحت ظروف معينة وعلى المدى الطويل ، ان التلفزيون يؤثر على الأطفال الصغار بوجه خاص لأنه ييسر لهم أغطاً سلوكية تصلح للتقليد في ظروف مستقبلية لاحقة وذلك حين تسنح الفرصة له للتقليد. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن مشاهدة الطفل للعنف المتكرر يوقف لديه عملية الاستثارة بالعنف عند حد معين، الأمر الذي يفقده شهية طلب المزيد من هذه الاستثارة. ان مثل هذا

يفقده القدرة على الاستجابة نحو بعض المواقف التي تستدعي تعاطفه مع الآخرين وذلك حينما يتعرضون الى المتاعب أو المخاطر أو الى العنف وذلك لأنه لا يشاطرهم الشعور بمواقف العنف ولا تستثيره مواقفه.

وقد يصدق هذا الأمر في غالبية مواقف الاستثارة التي تتبلد لدى الفرد من جراء تكرار مشاهدته لمواقف العنف، فالمشاهدة المستمرة لمشاهد العنف الجسمي والقسوة البدنية والمواقف المرعبة تؤدي على المدى الطويل الى تبلد الاحساس بالخطر والى قبول العنف كوسيلة استجابية لمواجهة بعض مواقف الصراعات أو ممارسة السلوك العنيف ذاته، كما أن عرض صور حياة الرفاهية والبذخ الكبير لدى بعض الطبقات الموسرة قد تضاعف الشعور بالرغبة الطاغية لبلوغ مثل هذه المستويات المرموقة العالية فان تعذر بلوغها بالطرق المشروعة فلا بأس من بلوغها بطرق غير مشروعة

٥ - هل يشكل التلفزيون عاملا جوهريا قويا في تكوين اتجاهات الطفل السلبية والايجابية أو بلورة مجمل قيمه في الحياة؟

إن التلفزيون لا يمكن ان يقوم بهذا الدور الفعال بمثل هذه السهولة المتصورة، فالأطفال يكتسبون بعض معارفهم وقيمهم وانماطهم السلوكية من مصادر اخرى الى جانب التلفزيون احيانا. ومع ذلك يظل دور التلفزيون كبيرا ومهما وفعالا حين تحجب الينابيع التي يستقي منها الطفل معرفته وحين تنعدم مصادر خبراته الحياتية في حقل أو بعض حقول معينة من المعرفة المطلوبة.

أما الطفل بوجه عام فهو عنصر ايجابي وليس وعاء سلبي يصب فيه التلفزيون براحه أو يقذف اليه بما يشاء من مادة تشكل مجمل معارفه، وربما من المفيد ان نؤكد هنا ان الأطفال لا يشكلون نمطا واحدا في استجاباتهم

للتلفزيون وقبول برامجها المختلفة، فقد يختار الطفل بعض ما يناسب اهتماماته أو ينسجم وحاجاته ورغباته ويصرف من الوقت في مشاهدة ما يلبي بعض حاجاته وبواعثه، وعلى الرغم من ان تأثير التلفزيون يختلف باختلاف الأطفال انفسهم إلا أن هناك تأثيراً مشتركاً عاماً يخضع له الأطفال كمجموعة بشرية متجانسة ذات سمات متشابهة

لقد اظهرت بعض الدراسات الميدانية والمختبرية كيف ان بعض اتجاهات وقيم الأطفال الاجتماعية يمكن ان تتشكل من خلال المشاهدات التلفزيونية المتكررة كما قد يستثير المشهد التلفزيوني بعض الأطفال بشكل يفوق ابعاد المتعة العابرة أو التسلية المؤقتة وقد يصبح التلفزيون مصدراً لاثراء خبرات الطفل الحياتية فيما لو تحمل المسؤولون عن تخطيط برامجها بعض المسؤولية لجعل هذا الجهاز جزءاً حيوياً مكملًا للبيئة الاجتماعية للطفل، فالتلفزيون لو احسن اختيار الطريق العلمي للتعامل مع الطفل يمكن ان يكون خير بيئة صالحة مكملة لبيئته الطبيعية وخير مؤسسة اجتماعية تمد يد العون للمؤسسات الاجتماعية الأخرى العاملة في حقل تنمية خبرات الطفل وتطوير قدراته وبلورة اهتماماته وتعزيز قيمه الاجتماعية ومثله العليا وترسيخ عقيدته وغرس شعوره الوطني وولائه القومي نحو امته ووطنه ودينه .

## المراجع

### أولاً: المراجع العربية:

- ١ - أثر برامج العنف والجريمة على الناشئة بدولة الكويت. دراسة نظرية تحليلية عدنان الدوري. وزارة الاعلام. دولة الكويت ١٩٧٧م.
- ٢ - دراسة عن آثار وسائل الاعلام في الدول العربية الخليجية وعلاقتها بجنوح الأحداث. هالة أحمد العمران. دولة البحرين. نموذجاً - المنامة ١٩٨٣م.
- ٣ - وسائل الاعلام وأثرها في ثقافة الطفل العربي. ندوة ثقافة الطفل في المجتمع العربي الحديث. ياسر المالح. الكويت ١٩٨٣م.

### ثانياً: المراجع الأجنبية:

- 1 Bernard Berelson, The People Look at Television, New York, Alfred A. Knopf, 1963.
- 2 - Charles Wright, Mass Communication, Random House, New York, 1959.
- 3 Fredric Wertham, A Sign for Gain: An Exploration of Human Violence, Macmillan, New York, 1966.
- 4 - Otto N. Larsen, (ed.), Violence and The Mass Media, Harper & Row, 1968.
- 5 Rodney Stark, Social Problems, Random House, 1976.
- 6 Surgeon General's Scientific Advisory Committee on Television and Social Behavior - The Impact of Televised Violence, Washington, D.C., 1972.
- 7 - Surgeon General's Scientific Advisory Committee on TV and Social Behavior, Television and Growing Up - U.S. Government, Washington, D.C., 1972.